هو بعث الأمان في نفس المرتاب والخائف .

فالباحث في المعنى إذا علم أن صيغة الأمر "قف" ممن هو أعلى لمن هو أدنى حال لموسه كمدرس لتلميذه ، أو شاهد المدرس يأمر تلميذه الجالس أو يؤمىء إليه بعينه أو شارة يده فيعلم المشار إليه أن المراد طلب القيام من جلوس ، ومراعاة هذا الموقف تكفي رد الحدث اللغوي : "المدرس قال لتلميذه ، وهو جالس على مقعده أمامه آمراً إياه : قف ، نتصب التلميذ قائماً ، أو نهض من جلوسه ملبياً" . فكل معنى في السياق اللغوي يحتاج إلى ائن لفظية أخرى تحدده حتى لا يكون مطلقاً ، فتقيده القرائن اللفظية ، فالصفة في "تلميذه لجالس في مقعده " قيدت حال التلميذ فمنعت عنه حال القيام ، وكذلك القرائن السابقة لي "ملبٍ" قيدت معنى التلبية عن معني التلبية التي تستخدم في سياق الحدث عن الحج هو قول الحاج : لبيك اللهم لبيك . فقولنا: نهض من ملبياً " يعني مستجيباً مطيعاً ، غير منى قولنا: " دخل الحاج البيت الحرام ملبياً" ، فالقرائن اللفظية حالت دون التباس معنيين ، وتلك القرائن هي السياق اللغوي .

والسياق اللغوي غير السياق المقامي (أو سياق الحال ، أو السياق الخارجى) الذي عني القرائن غير اللغوية في الحدث اللغوي ، وشاهدنا فيه ما ذكرناه أن " قف " قد يعطي لأمر فيه معنى التهديد والوعيد ، وقد يعطي دلالة الأضداد ، ومثال هذا قولك : "قف كانك"! الأمر الذي يصدر من صديق حميم إلى صديقه الذي يمشي ، فيفهم من طلب الأمر ه يريد أن يريه شيئاً فيسكن إليه ، ويجيبه ، وهذا خلاف صدور الأمر من شخص مجهول وجس منه المأمور شراً ، أو يرتاب فيه ، فلا يسكن إليه . وكذلك الأمر في: "استمر في لحديث" ! إذا صدر من صديق حميم يعني الاستئناث بالحديث ، وإذا صدر من محقق إلى نهم سكت عن الحديث أو زيّف القول ، وتباطأ في الحديث ، فتحديد المراد يتوقف على لاقة طرفي الاتصال ببعضهما ، وعلاقتهما بالمكان والزمان اللذين ينتج فيهما الحدث لغوي، ومناسبة الحدث اللغوي ، وهو ما سبق إليه علماء المسلمين في شرح النص القرآني الحديث النبوي ، فقد ربطوا بين تفسير الآيات وأسباب نزولها ، وربطوا كذلك بين الحديث نبوي الشريف وبين الموقف الخارجي الحالي الذي قيل فيه ، وقد تنبه علماء اللغة العربية ن المقام الحالي وأهميته في دراساتهم اللغوية حديثاً . ومن الطريف في هذا الباب أن فقهاء المسلمين لم يسلموا بما جاء في شأن الأعرابي الذي بال في المسجد ، فقال صلى الله عليه وسلم: " دعوه، هريقوا على بوله سَجْلاً من ماء أو ذَنُوباً من ماء ، فإنما بعثتم ميسرين ، ولم تبعثوا معسِّرين".[1] فحكم النص أن يصب الماء على النجاسة، ولكن الفقهاء، لم يأخذوا بحكم النص في كل موضع نجس، فقد نظروا في طبيعة الأرض ، فرأوا أنها لو شابهت أرض مسجد رسول الله ﷺ، هي أرض تشرب الماء أو يغور فيها الماء ، أريق على البول الماء ، فيذهب بنجاسة الموضع الذي به بول ، وإلا وجب اقتطاع الأرض التي أصابتها النجاسة إن كانت طينة، أو غسلها حتى تذهب نجاستها إن كانت صلبة لا تشرب الماء أو صخ بة ، فقد يفهم الناظر في النص أن حكمه يعم كل أرض ، ولكن الفقهاء اعتبروا مقام القول من حيث المكان ، وهذا يقع خارج النص ، والله تعالى أعلم .[2] ، ونسوق إلى القارئ الحبيب ما وقع في أثناء خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في ميدان المنشية ١٩٥٤م ، سمع طلق ناري متكرر أثناء الخطاب ، فتوقف الرئيس عبد الناصر عن الكلام بدء إطلاق النار حتى توقف صوت إطلاق النار ، ثم سمع الرئيس جمال عبد الناصر ثائراً يقول بصوت عال : " فليبق كل منكم في مكانه !" ،[3] وكررها فسامع الخطاب يفهم من سياق الأمر غير ما فهمه الذي شهده أو

---

(١) رواه البخاري في كتاب الوضوء ، باب صب الماء على البول في المسجد ، رواه أيضاً في الطهارة والأدب ورواة أحمد جـ ١ / ٧٦، جـ/ ٢٣٩ وابن ماجة في الطهارة والترمذي في الطهارة ، وهو بلفظ أبي هريرة رضي الله عنه ، وارجع إلى شرح الحديث في فتح الباري ، الريان جـ١/ ٣٨٦ حديث رقم ٢٢٠ .

هراق الماء يهريقه (بفتح الهاء) هراقة ، بالكسر صبَّه وأصلة أراق يريق إراقة ، وفيه لغة أخرى أهْرَق الماء يهرقه إهراقاً على أفعل يفعل ، وفيه لغة ثالثة أهرق يهريق إهراقة .

وفي الحديث أهريق دمه . وقلب الهمزة المضارعة هاء من بقايا اللجهات الجنوبية باليمن .

(٢) ومثله ما جاء في حديث: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة". صحيح البخاري كتاب المغازى غزوة بني قريظة .

فتأول بعض الصحابة القول فصلوا العصر في الطريق عندما أدركهم وقت العصر ، ولم يصل الباقون إلا في بني قريظة عملاً بظاهر النص ، وقد فهم الفريق الأول الأمر على أنه طلب الإسراع في السير .

(٣) ارجع مجموعة خطب وأحاديث الرئيس عبد الناصر ، الهيئة العامة للاستعلامات الجزء الأول . خطاب المنشية ١٩٥٤م . وارجع إليه مسجلاً إنتاج شركة صوت القاهرة ، قدم له المذيع جلال معوض رحمه الله!